أهمية معاجم المعاني في استنباط المصطلح العلمي

د.محمد خليفة الأسود

أستاذ علم اللغة بقسم اللغة العربية

بجامعة السابع من أبريل- الزاوية- ليبيا

مقدمة:

إن المعاجم من أهم الوسائل التي تسهل التعريب، والإطلاع عليها،ودراستها تجعل المُعَرِّبَ قادراً على استنباط المصطلح العلمي الدقيق. لهذا يجدر بالمهتمين بالتعريب دراسة المعاجم والتمييز بين أنواعها المختلفة. ويتناول هذا البحث نوعا خاصا من أنواع المعاجم يجد المُعرّب فيه ضالته إذ يستطيع أن يتحصّل على مفردات كثيرة جدّا يمكن أن يستخدمها كمصطلحات للعلوم التي يبحث فيها، ويعرف هذا النوع **بمعاجم المعانيّ** وهي تخالف المعاجم العادية التي نستخدمها من حيث إنها تذكر فيها المعاني على هيئة أبواب ثم ترد فيها كل المفردات المتعلقة بتلك المعاني، ونحن نعرف أن المُعرِّبَ له معانٍ كثيرة يريد لها مفردات وهذا النوع من المعاجم يورد المعنى وله مفردات كثيرة يمكن استخدامها لمعانٍ مقاربة للمعنى التي وردت فيه ومن هذه المعاجم **المخصص** لابن سيده، و**الألفاظ الكتابية** لعبدالرحمن بن عيسى الهمذاني.

وسيتناول هذا البحث التعريف بمعاجم المعاني والتنويه بأهميتها كوسيلة ناجعة في استنباط المصطلح العلمي، كما أنه سيعطي أمثلة من الموضوعات الواردة في معنى واحد والتي يمكن استخدام مفرداتها كمصطلحات في معانٍ جديدة مقاربة للمعنى الذي وردت فيه، ثم الوصول إلى أسلوب وطريقة يمكن بواسطتها تعريب المصطلح العلمي بالاستعانة بهذه المعاجم وذلك بتصنيف مفرداتها على حسب المعاني المستحدثة في مختلف العلوم.

1- المعاجم:

المعاجم جمع مفردها معجم، والمعجم كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون مواده مرتبة ترتيبا خاصاً إما على حروف الهجاء أو على المواضيع، وأكمل المعاجم ما يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد توضح مواضع استعمالها(1).

1- المعاجم عبر التاريخ:

من الأمم التي سبقت العرب في تأليف المعاجم الأشوريون والصينيون واليونان، وحيث إن الكشوفات الحديثة أثبتت أن الأشوريين هم العرب القدماء إذن فإن أجداد العرب هم أول من ابتكر المعاجم، وقد ألف الأشوريون معاجم بلغتهم السومرية القديمة وقد وضعوا هذه المعاجم في قوالب من الطين وحفظت في مكان يشبه المكتبة،وقد توصل إليها الكشف والبحث العلمي المعاصر واعتبرت من أم مصادر تاريخ الأشوريين.

وقد ألف الصينيون معاجم قبل العرب،ومن هذه المعاجم: معجم " يوبيان" الذي ألفه كوي ونج، ثم معجم شوفان الذي ألفه هوشن ،وهذان المعجمان هما الأساس الذي بنيت عليه معاجم اللغة الصينية واليابانية.

أما اليونانيون فقد ذكرت لهم مؤلفات كثيرة

وصفت بأنها معاجم ولكنها مفقودة لم تصل إلينا. والذين اهتموا من اليونان بتأليف المعاجم هم علماء الأسكندرية(2) في القرن الثاني قبل الميلاد نظراً لاهتمامهم باللغة لاشتهار الشعر والخطابة بينهم. وأشهر معجم يوناني هو معجم " يوليوس پولكس" وهو معجم مرتب على حسب المعاني والمواضيع، أما معجم" فاليروس فيلسكس فهو قريب من المعجم المعاصر وعنوانه " في معاني الألفاظ".

ب- بداية التأليف المعجمي عند العرب:

ورد في (مقدمة الصحاح) إن أول من استخدم كلمة المعجم رجال الحديث، وأول من عرّف(لفظ معجم)كان في القرن الثالث. فقد جاء في صحيح البخاري عنوان من تعبيره وهو قوله" باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم "(3). والجامع أحد كتب البخاري ويريد بأبي عبد الله نفسه. وللبخاري (التاريخ الكبير) رتب فيه أسماء الرجال على حروف المعجم مبتدئاً بالمحمدين. وأول كتاب أطلق عليه اسم المعجم هو " معجم الصحابة" لأبي معلى أحمد بن علي الموصلي المتوفى سنة307هـ،وقد ارتدفه أبو القاسم عبد الله بن محمد عبد العزيز البغوي المتوفى سنة 307هـ وسمى كتابيه اللذين ألفهما في أسماء الصحابة (المعجم الكبير) و(المعجم الصغير). ثم كثر إطلاق هذا اللفظ واستعماله بين من ألّفوا في الحديث وعنهم أخذه اللغويون.

وما يجب ملاحظته هنا التفريق بين بداية التأليف المعجمي عند العرب وإطلاق كلمة معجم على الكتب المؤلفة لحصر المفردات وبيان معانيها فتأليف هذا النوع من الكتب بدأ من القرن الثاني الهجري وذلك بوضع الخليل بن أحمد أول كتاب في حصر المفردات العربية وترتيبها وهو كتاب العين وتوفي الخليل بن أحمد سنة 175هـ.

أما إطلاق كلمة معجم على هذا النوع من التأليف فقد جاء متأخراً أي في القرن الرابع الهجري على أيدي أصحاب الحديث.

جـ- المعاجم العربية:

من خصائص اللغة العربية أن معظم ألفاظها يتكون من ثلاثة أصول، ومن خصائصها أيضاً إمكانية التصرف في تلك الأصول الثلاثة بحيث يتولد منها عدد غير قليل من الكلمات التي تدور في محيط واحد من المعنى وذلك ما يعرف عند اللغويين بالاشتقاق.وقد استفاد مصنفو المعاجم من هذه الخاصيّة استفادة كبيرة، فالخليل بن أحمد وهو أول من وضع معجما في اللغة العربية استطاع بواسطة الاشتقاق الأكبر" التقليب" أن يميز المهمل من المستعمل في اللغة فيدرج المستعمل في معجمه ويطرح المهمل.

وقد تنوعت المعاجم العربية في الترتيب والأهداف فهناك معاجم المفردات وهي المعاجم التي ترتب فيها المفردات ترتيباً خاصاً ثم يبحث عنها وعن معانيها بناء على الترتيب المعين، وهناك معاجم المعاني وهي التي يوضع فيها المواضيع المشتملة على مفردات كثيرة ويستفيد منها الكاتب والمُعَرِّب والمترجم.

د- معاجم المعاني:

إن معاجم المعاني هي المعاجم المرتبة على حسب الموضوعات فهي تعقد أبواباً وفصولاً للمسميات التي

تتشابه في المعنى أو تتقارب، وتورد كل المفردات المتعلقة بالموضوع، والعلاقة بين هذه المفردات هي أنها ذات معنى واحد أو في محيط واحد من المعنى، ومؤسس هذه الطريقة من طرق المعجم العربي أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة224هـ بتأليف معجمه(الغريب المصنّف).

ولما ألّف أبو عبيد (غريبه) فتح للناس باباً في التأليف اللغوي والتأليف المعجمي لم يكن مطروقا من قبل واتبع كثير من المؤلفين طريقته واتفق في اتباعه القدماء والمحدثون المعاصرون على السواء، اتبعه من القدماء أبو الحسن الأزدي في كتابه (المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه) واتبعه ابن سيده في المخصص،وتوسع فيه كثيرا ومن المعاصرين مؤلف كتاب (الإفصاح).وبنظرة سريعة إلى واحد من معاجم المعاني تظهر لنا طريقتها في التأليف المعجمي، ففي بداية معجم المخصص لابن سيده يتناول المفردات المختصة بخلق الإنسان فيورد المواضيع الآتية:

1) خلق الإنسان.
2) الحمل والولادة.
3) أسماء ما يخرج مع الولد.
4) الرضاع والفُطام والغذاء وسائر ضروب التربية.
5) الغذاء السيء للولد.
6) أسماء أول ولد الرجل في الشباب والكبر.
7) أسنان الأولاد وتسميتها من مبدأ الصغر إلى منتهى الكبر.
8) اللذة والنزب.
9) ذكر شخص الإنسان وقامته.
10) الرأس.

وقد استغرقت المواضيع المتعلقة بالإنسان الجزء الأول من معجم المخصص الذي ضم أربعمائة وثلاثين موضوعاً تتعلق بالإنسان في سبعمائة وستة وسبعين صفحة تضم هذه المواضيع مفردات يمكن تصنيفها على حسب المعاني الأساسية المتعلقة بالإنسان، وهي كما يأتي:

1) خلق الإنسان وما يتعلق بخلقه إلى اكتماله.
2) أسماء أعضاء الإنسان المختلفة.
3) صفات الكلام وأعضاء النطق في الإنسان.
4) الصفات الغريزية في الإنسان.
5) الصفات المتعلقة بالنساء.
6) أسماء وأنواع لباس الإنسان.
7) أسماء وأنواع طعام الإنسان.
8) أسماء وأنواع الأمراض التي يتعرض لها جسم الإنسان.
9) أسماء وأنواع البيوت التي يقطنها الناس.(4)

2- المصطلح العلمي والجهود التي بذلت في صقله وتنسيقه:

المصطلح في أبسط صوره اسم لعلم من العلوم أو اسم لآلة تستخدم في وظيفة معينة فهو من حيث الوظيفة اللغوية مثل الاسم العَلَم يجب أن يعين مسماه بدون واسطة أخرى فبمجرد إطلاقه يجب أن ينصرف الذهن إلى ذلك العلم أو تلك الآلة، وحتى يؤدي المصطلح العلمي هذه الوظيفة لابد من أن يكون في استنباطه تحرٍّ لكل الملابسات التي قد تجعله غير دقيق وذلك مثل اختلاف أصوات اللغة المنقول منها المصطلح عن أصوات اللغة العربية أو الخطأ في الدلالة أو غيرها من الأشياء التي تؤثر في تحديد معنى المصطلح العلمي.

والاهتمام بتعريب المصطلح العلمي بدأ في الوطن العربي منذ بداية هذا القرن. ففي سنة 1920م أنشئت كلية الطب بدمشق وكان التدريس فيها باللغة العربية، وفي سنة 1938 بذلت في مصر جهود لتعريب المصطلحات العلمية،وكانت (مجلة رسالة العلم) التي تصدرها جمعية خريجي كليات العلوم منذ يناير سنة 1934 قد أخذت تنشر ما يتم ترجمته من المصطلحات في أعدادها كما أنها كانت بمثابة مدرسة تمرّس فيها الأساتذة بالكتابة العربية في الموضوعات العلمية الحديثة، وكانت قد نشرت في عددها الأول استفتاء حول تدريس العلوم باللغة العربية،وكان من رأي بعض الأساتذة أن يبدأ التدريس فورا باللغة العربية وأن هذه الطريقة هي الوحيدة السريعة لتعريب العلوم.

وكان مجمع اللغة العربية قد أنشىء كذلك في الثلاثينيات وكان للمصطلحات العلمية نصيب موفور من جهود أعضائه ولجانه، وقد استعان المجمع بخبراء من أساتذة الجامعات يضعون التعريف الدقيق للمصطلح العلمي، وكانت مهمة المجمع منحصرة في وضع الصيغة العربية الصحيحة لترجمة المصطلح أو تعريبه.وقد قطع المجمع في هذا المجال شوطا كبيراً وبلغت مجموعات المصطلحات التي قام بتعريبها وترجمتها إحدى عشرة مجموعة تضم بضع عشرات من الألوف من المصطلحات،وكان مرور المصطلح في لجان الخبراء في مجلس المجمع ثم في المؤتمر كفيلا بصقله ووضع أحكم الترجمات وأصلحها وأصحها(5).

وكان عقد المؤتمر العلمي الأول في الأسكندرية في سنة 1953 فرصة مواتية لعرض مشكلة المصطلحات العلمية على المؤتمرين من العلماء العرب، وقد عرضت المشكلة مرة أخرى بصورة أوضح في المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة سنة 1955 حيث أعدت قوائم لبضعة آلاف من المصطلحات العلمية باللغات الأجنبية وأمامها الترجمات العربية المستعملة في بعض الدول العربية مثل سوريا والعراق ولبنان والأردن ومصر كما عرض أمام بعضها الترجمة التي أقرها مجمع اللغة العربية.

وعندما عقد المؤتمر العلمي العربي الثالث في بيروت سنة 1957 اتفق على توحيد الترجمة العربية لبضعة آلاف من المصطلحات،كما عرضت على المؤتمر العلمي العربي الرابع الذي عقد في القاهرة سنة 1961 مجموعة من المصطلحات في العلوم الكيميائية والطبية والجيولوجية والنبات والحيوان والحشرات والرياضيات تبلغ نحو خمسة عشر ألف مصطلح.

وقد حظيت مشكلة المصطلحات العلمية في المؤتمر العلمي العربي السادس الذي عقد بدمشق سنة 1969 بعناية فائقة وكان تنظيم ندوات المصطلحات مما حقق أكبر الفائدة وأتاح الفرصة للقاء المختصين لمناقشة مجموعات المصطلحات من رياضية وطبيعية وكيميائية وجيولوجية ونباتية وحيوانية وحشرية وطبية وغيرها.

وقد تبين للمؤتمرين أنه ما زال هناك خلاف على ترجمة بعض المصطلحات وأنه لا بد من توزيعها على المختصين ليدلي كل برأيه ثم جمع المصطلحات المختلف في ترجمتها لعرضها في لقاءات أخرى قصد الاتفاق على ترجمتها أو تعريبها(6)،لأن من الأهمية بمكان توحيد الترجمة العربية للمصطلحات العلمية كما تبينت ضرورة

إتاحة فرص اللقاء بين المختصين في العلوم والمجمعيين في اجتماعات دورية شفوية مما يمكن أن يؤدي إلى نتيجة حاسمة في أقل مدة يمكن أن تنتهي بمعجم علمي عربي موحد تلتزم به الهيئات العلمية والتعليمية في البلاد العربية كافة. كما طالب المؤتمر الدول العربية بأن تنشيء لجاناً للتعريب تتعاون مع المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط على أن يرسل الاتحاد العربي ما أنجزه في حقل المصطلحات إلى الهيئات العلمية في البلاد العربية.

وهناك جهود لهيئات وأفراد في هذا المجال لا بد من الإشادة بها فهي قد أضافت لبنات بنّاءة في تعاريب العلوم فقد أشرف المجلس الأعلى للعلوم في مصر على ترجمة بعض الكتب العلمية وقد قام على الترجمة هنا وهناك عدد من الأساتذة المختصين بذلوا في ذلك جهودا مقدورة مشكورة خاصة وقد ذيلوا هذه الكتب بقوائم للمصطلحات العلمية التي وردت في هذه الكتب. كذلك أشرفت جامعة الدول العربية على إصدار المعجم العسكري الموحد وهويضم نحو ثمانين ألف مصطلح وبه، إلى جانب مصطلحات العلوم العسكرية، مصطلحات في الطب والطبيعة والهندسة والرياضيات وغيرها. وهناك كذلك معجمات رائدة في هذا المجال مثل (معجم شرف) و(معجم الأمير الشهابي) و(معجم المعلوف).

ونظراً لأن المصطلح العلمي يكون في الغالب وافداً إلى اللغة العربية من لغات أخرى مختلفة لهذا لابد لنا من توضيح الوسائل والطرق التي يفد بها هذا المصطلح إلى لغتنا. ومن هذه الطرق والوسائل " التعريب"و" الترجمة"، فسنتناول ماهية ومجال كل منهما وأولوية أحدهما على الآخر وكيفية الترجمة وأشهر المترجمين مع الوقوف على شروط الترجمة الصحيحة والانتهاء بتحديد ما يجب ترجمته.

3- التعريب والترجمة:

التعريب يختص بالألفاظ دون الأفكار، فهو يقصد به تعريب المفردات الأعجمية على صيغ عربية أو نقلها إلى العربية بإيجاد مقابل لها في اللغة العربية يحمل معناها الأصلي أو يقرب منه.

ونظرا لأن التعريب قد يدخل ألفاظا غريبة في اللغة واشتقاقات متكلفة فقد أثار جدلا كبيراً بين علماء اللغة،ومن ذلك الجدل ما دار في نادي دار العلوم، ففي سنة 1908 أقيم في هذا النادي جمع هام لمناظرة حول موضوع وضع ألفاظ جديدة للكلمات الأجنبية الوافدة على البلاد العربية بحكم اتصال الحضارات والثقافات بين الشرق والغرب وبين العرب وغير العرب،وذهب الناس في هذا الموضوع مذاهب شتى إلا أن الموضوع حدد في مسألتين: أتعرّب الألفاظ الأعجمية الجديدة على صيغ وأبنية توافق البناء العربي؟ أم توضع لها كلمات عربية جديدة تدل على معانيها الأصلية في لغاتها، فالرأي الأول يرى أن استخدام التعريب في هذه المرحلة أولى لأننا في أمس الحاجة إلى تعريب المصطلحات والإسراع في ذلك، والرأي الثاني يرى أن الترجمة أولى بالرغم مما قد تأخذه من وقت.

فكان من أنصار الترجمة في هذه المناظرة اللغوي محمد الخضري إذ وقف إلى جانب التعريب وعرفه بأن يؤخذ من المخترع للشيء المسمى واسمه بعد أن يصقلوه بألسنتهم حتى يكون خفيفا عليها مناسبا للهجتها،ورأى الخضري أن هذا هو الطريق المعقول الذي اتبعه العرب

منذ عصر الترجمة واتبعته كل أمة من أمم العالم (8). أما حفني ناصف فكان من المضادين للتعريب المطلق وهاجم سياسة إثراء اللغة العربية بألفاظ معربة ووسمها بسياسة الباب المفتوح.

وانتهت المناظرة بين الفريقين إلى اتخاذ قرار يجعل للترجمة المكان الأول على أن يجيء التعريب بعد ذلك إذا كان الوضع غير متيسّر، واشترط لذلك أن يعتمده مجمع لغوي يؤلف لهذا الغرض.وعند انتهاء المناظرة وصل المناظرون إلى القرار الآتي: بعد سماع ما قاله جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة قرر " نادي دار العلوم" أن يكون العمل على النحو الآتي:

يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريقة بين الطرق الجائزة لغةً فإذا لم يتيسّر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله ووضعه على مناهج العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض(19).

وقد عرّف التعريب أحد أشهر المترجمين في العصر الحديث وهو أنيس المقدسي بقوله " التعريب أن يتفوّه العرب باللفظ الأعجمي على مناهجهم كقولك " بوتقة" لما يذيب به الصائغ المعادن،و" مهرجان" عيد كبير، ودينار وقيصر وطاولة وتلغراف وأمثالها، ولا يكون ذلك عادة إلا في المفردات"(10).

ا– تعريف الترجمة:

لقد ورد لفظ الترجمان في القاموس المحيط بضم التاء والجيم " تُرْجُمان" وبفتح التاء وفتح الجيم ومعناه المفسّر للسان،وهو مأخوذ من مادة "ت.ر.ج.م" وهذه المادة يطلق عليها الصرفيون اصطلاح " الفعل الرباعي المجرّد" عندما تكون في الصيغة الفعلية " ترجم" ومصدر هذا الفعل " ترجمة". فإذن الترجمة هي التفسير للسان والمقصود باللسان الكلام الأعجمي " غير العربي"، والترجمة عند الإطلاق تعني النقل من لغة إلى أخرى كما أنها تطلق ويراد بها تاريخ حياة الإنسان ومنها سميت الكتب التي تتناول شخصيات تاريخية بكتب التراجم.

وقد تعرض الجوهري في صحاحه إلى لفظ "ترجم" على المعنى الأول فقال" ويقال قد ترجم كلامه بلسان آخر ومنه الترجمان والجمع تراجم"(11).وعرّف أنيس المقدسي الترجمة بقوله" الترجمة نقل الأفكار من لغة إلى لغة؛أو هي تفسيرالكلام بما يقابله في لسان آخر" (12).

ب–مجال كل من الترجمة والتعريب:

للتعريب والترجمة مجالان رئيسيان هما مجال الآداب والعلوم. فالتعريب يختص بمجال العلوم مثل الكيمياء والطبيعيات والاقتصاد والأحياء، ويضم مجال الآداب الشعر والخطابة والمحاضرات ،كما أن هناك مجال ثالث يمكن عده ضمن مجال العلم هو مجال المعاملات التجارية والاقتصادية. فالتعريب أليق بها من الترجمة. وقد بين مجالات التعريب والترجمة اللغوي المشهور أنيس المقدسي في بحثه في مجلة المقتطف عدد مارس (1929) بعنوان: "أصول الترجمة والتعريب"، ويمكن لنا تلخيص ذلك فيما يلي:يقول أنيس المقدسي" للتعريب والترجمة منطقتان رئيسيتان منطقة الآداب ومنطقة العلوم، فالمنطقة الأولى تضم الشعر والخطابة والرسائل والمحاضرات أو كل كلام نفيس يصلح أن تحفظه الأجيال لجماله أو لتأثيره.ولما كان المنهاج الأدبي العالي لا يتسع للمصطلحات

والأوضاع الغربية كانت الأولوية في هذه المنطقة للترجمة دون التعريب وذلك بديهي فإن الأدب يتناول جمال المؤثرات في النفس وتدوين أقدرها بطريقة شائقة أو هو كما قال بعضهم تجسيم الجمال المطلق بالألفاظ،ومصادر الجمال لا تنحصر في جيل أو قطر ولكن أثرها النفسي يختلف باختلاف الأفراد والجماعات وبالتالي يظهر في كل أمة على منهاجها الخاص. فالمبدأ الأساسي في منطقة الأدب إذن أن يعمد الكاتب إلى الكلام الأعجمي فيترجمه بكلام عربي فصيح يسوقه على منهاج العرب،ويتناول الفصيح هنا من غير العربي الصميم ما عربه الأقدمون واستعمله كتابهم وشعرائهم.

أما المنطقة الثانية فتتناول ما حقق ونظم من المعلومات الطبيعية والاجتماعية كأصول الكيمياء والفلك والطبيعيات والطب والاقتصاد والآثار وعلوم النفس والأحياء، وغاية العلم التوصل إلى الحقيقة المثبتة ولذلك ترى أربابه يتوخون في ما يفعلونه الدقة لأداء المعنى خاليا من التعقيد والإلتباس، على أن ما ينقلونه لا يتعدى أحد أمرين: مجرّد وهو الاسم المعنوي ، ومحسوس وهو اسم الذات، فإن كان الأول مثلا مندوحة في الأغلب من الترجمة لأن أسماء المعاني الغربية تضيق حوصلة اللغة عنها، أما إذا كان المنقول في باب أسماء الذوات فله أحكام ومبادئ منها:

1) إذا كان للاسم مرادف في العربية،أصيلاً كان ذلك المرادف، أو دخيلا، فاستعمال مرادفه أولى من تعريبه ككثير من الأوضاع النباتية والحيوانية والطبية والفلكية التي وضعها من سبقنا من علماء العرب.

2) كل ما يستطاع نقله إلى اللغة ويسهل عليها هضمه وتمثيله بحيث يدل تماماً على ما كان يدل عليه من قبل فترجمته أولى مثل" طيارة" "سفير" "مدمرة" "مؤتمر".

3) كل ما ألفت ترجمته وجرى في مجاري اللغة فيجب المحافظة عليه لأنه أصبح من مادة اللغة،ومن الخطأ استبدال ترجمة جديدة به إلا إذا كانت أوضح دلالة وأسهل استعمالاً،ومن أمثلة ذلك"نواة"و"مذهب النشوء".

4) كل ما ليس له صورة أو مثال في العربية أو كل ما يسهل إدخاله في نصاب اللغة ولا سيما إذا كان في ترجمته تكلف ومشقة قد تضيع بها الحقيقة المنشودة فتعريبه أولى، وعلى هذا جرى الأقدمون وتاريخ كل لغة شاهد بصحته، ومن ذلك المصطلحات الآتية" أكسجين" "هيدروجين" " جيولوجيا" " بكتيريا" .

أما المنطقة الثالثة للتعريب والترجمة والتي يمكن ضمها إلى منطقة العلوم هي منطقة المعاملات التجارية والصناعية والزراعية وما يشابه ذلك من أنواع العلاقات بين الناس، ويجب أن يتوخى في هذا المجال الاقتصاد والسهولة والبعد عن التأنق الأدبي، ولذلك فإن التعريب قد يستخدم في هذا المجال أكثر من الترجمة ، ولاتستخدم الترجمة في هذا المجال إلا في الألفاظ الأعجمية التي يعسر التلفظ بها أو مما يبعد عنه المنهاج العربي أولا يكون لهذه الألفاظ مقابل في العربية ككاتب بدل سكرتير أو أن تكون هذه الألفاظ من باب المجرّدات والصفات كقولنا "شركة ضمانة الحياة المحدودة".

ج- أسبقية التعريب للترجمة:

تاريخيا قد سبق التعريب الترجمة، ففي تراثنا العربي لم تترجم المعارف والعلوم إلا بعد تعريب الدواوين، يقول محمود رزق سليم في كتابه "تاريخ الأدب العربي في عصر

بني أمية والعصر العباسي": حولت دواوين الخراج إلى اللغة العربية في شتى البلاد الإسلامية وكانت من قبل تكتب بلغة الإقليم التي هي فيه فهي في العراق بالفارسية وفي الشام بالرومية وفي مصر بالقبطية فتحوّلت دواوين العراق إلى العربية في عهد عبد الملك بن مروان كما حولت دواوين الشام من الرومية إلى العربية في عهد عبد الملك بن مروان أيضاً وكان الذي حولها له في الشام إلى العربية سليمان بن سرور فدبّ الحزن إلى قلب سرجون الكاتب بالرومية حتى قال لمن معه من كتاب الروم: اطلبوا الرزق من غير هذه الصنعة فقد قطعها عنكم.ولما حول صالح بن عبد الرحمن السجستاني للحجاج دواوين العراق إلى العربية أراد كتّاب الفرس أن يحولوا بالمال بينه وبين ذلك فبذلوا له مئتي ألف درهم على ألا يفعل فأبى فقالوا: قطع الله أصلك من الدنيا بعد أن قطعت أصل الفارسية؛ ومنذ ذلك الحين نقل ديوان العراق وكان الذي يتولى الكتابة فيه زادان فروج بن بيري.

أما ديوان مصر فقد حوله عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر من قبل الوليد بن عبد الملك،وكان يقوم بالكتابة فيه بالقبطية: انتناش القبطي، فصرفه عبد الله وأقام مكانه يربوع العنزاري(13). فتعريب الدواوين وتعريب المصطلحات المختصة بها سبق الترجمة إذ أن التعريب كان في الدولة الأموية، والترجمة نشأت وازدهرت في العصر العباسي. ونظراً لأن التعريب لا ينقل الفكر وإنما ينقل اللفظ الأعجمي ويجعله عربيا لهذا لم يهتم العلماء به اهتمامهم بالترجمة.

د- كيفية الترجمة:

للترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية طريقتان أنشأهما علماء التراث واتبعهما المترجمون المحدثون مع قليل من التهذيب والتطوير. وهما طريقة المترجم يوحنا ابن البطريق وطريقة المترجم حنين بن إسحاق.

يقول الصلاح الصفدي؛ للترجمة في النقل طريقتان: إحداهما طريقة يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى أخرى كذلك حتى يأتي على ما يريد تعريبه،وهذه الطريقة رديئة لوجهين، **أحدهما**:أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا بقي في خلال التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. **ثانيهما**: إن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها في لغة أخرى دائما،وإنما يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات.

الطريقة الثانية هي طريقة حنين بن إسحاق والجوهري وغيرهما وهو أن يأتي المترجم بالجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها في اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها وهذه الطريقة أجود.

وقد مزج المترجمون المحدثون بين الطريقتين وترجموا لنا الكثير من العلوم والمعارف والفنون والآداب.

ومن رواد الترجمة في العصر الحديث يعقوب صَرُّوف واختص بترجمة العلوم،وأحمد حسن الزيات واختص بترجمة الآداب.

1- يعقوب صَرُّوف:

يعقوب صروف هو محرر مجلة المقتطف التي أنشئت

سنة 1876 ، واختصت هذه المجلة منذ نشأتها بالترجمة والتعريب وذلك لاهتمامها بنقل علوم الغربيين وفنونهم وصناعاتهم ووسائل تقدمهم العلمي إلى الوطن العربي وفي هذه المجلة تعرّض يعقوب صَرُّوف إلى طريقة الترجمة فقال: تنقسم المعاني المراد ترجمتها إلى اللغة العربية إلى أربعة أنواع:

ا-معاني على سبيل الحقيقة المألوفة.

ب- معاني على سبيل المجاز المألوف.

جـ-معاني على سبيل المجاز غير المألوف.

ويرى أن المعاني التي على سبيل الحقيقة المألوفة مثل: ركوب الخيل، وشرب الماء، وهذه المعاني تترجم إلى ما يدل على معناها في العربية فنقول ركب الفرس وشرب الماء، أما المعنى الذي لم يُؤْلَف لدينا بل هو طارئ على معانينا وأفكارنا فنترجمه بلفظه وما يقاربه فنقول اطلق المدفع فإن الإطلاق لم يكن معروفاً لدى العربي على صورته الحاضرة،والمعنى المجازي مثل" أيقظ الفتنة وفرّق الشمل" فليس هناك صعوبة في إيجاد المعنى الذي يرادف ذلك في العربية، والمعنى المجازي غير المألوف في العربية مثل:"لعب فلان دوره" و "ذَرّ الرماد في العيون".فطريقة ترجمة هذه الاستعارات والعبارات المجازية التي من هذا القبيل أن نفتش أولاً عما يرادفها أو يقاربها من الاستعارات العربية فإن لم نجده وصادفت العبارة الافرنجية منّا استحساناً لها لخفة لفظها وسهولة إدراك معناها أبقيناها على حالها.

2- أحمد حسن الزيات:

يعتبر أحمد حسن الزيات من أشهر المترجمين المحدثين المتخصصين في ترجمة الآداب والفنون وبيّن لنا طريقته في الترجمة بقوله:" أما كيف أترجم فإني أذكر لك أولا مذاهب العرب في الترجمة ثم أذكر لك المذهب الذي ارتضيته واتبعته".وبعد ذكره للطريقتين اللتين أشار إليهما الصلاح الصفدي وهما طريقة ابن البطريق وطريقة حنين ابن إسحاق قال هذان مذهبا التراجمة في الإسلام ولا ثالث لهما عندهم، وأن الذي اتبعته في كل ما ترجمت توفيق بين المذهبين، يجمع ما فيهما من المحاسن.

وينفرد الزيات في ترجمة الآثار الأدبية بمزية لم يمتز بها المترجمون الأولون لأنهم لم يعالجوا إلا ترجمة العلوم والفلسفة عدا ابن المقفع، تلك المزية هي استشعار التجربة العاطفية التي شعر الكاتب أو الشاعر ليكون التعبير عنها قوياً صادقاً، فهو يقول عن نفسه" إنني أنقل النص الأجنبي إلى العربية نقلاً حرفيّا على حسب نظمه في لغته ثم أعود فأجريه على الأسلوب العربي الأصيل فأقدم وأؤخر دون أن أنقص أو أزيد ثم أعود ثالثة فأفرغ في النص روح المؤلّف وشعوره باللفظ الملائم المجاز المطابق وأنسق المنتظم فلا أخرج في هذه المراحل الثلاث إلا وأنا على يقين جازم بأن المؤلّف لو كان كتب قصته أو قصيدته باللغة العربية لما كتبها على غير هذه الصورة، ومن هنا كانت الترجمة على هذا النحو أشق وأتعب لأن المؤلّف ينقل مباشرة من ذات نفسه إلى ذات قلمه، أما المترجم فإنه ينقل من لغة تخالف لغته كل الاختلاف في تأليف الجملة ونظم الأسلوب"؛فالزيات قد بين أن طريقته في الترجمة هي الطريقة التي اتبعها علماء التراث إلا أنه أضاف إليها استشعار التجربة العاطفية التي شعر بها مؤلف النص ثم أشار إلى أن مهمة المترجم أصعب وأشق من مهمة المؤلّف لأن المترجم يحاول تطويع لغة عصية لمعانٍ غريبة عنها أما

المؤلف فهو يستعمل لغته السهلة لنقل أفكاره.

هـ- شروط الترجمة الصحيحة:

إن أول من تكلم في فن الترجمة ووضع شروط لها الجاحظ حيث يقول؛ لا بد للمترجم من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيها سواء وغاية.ورأى نفس الرأي أحد المترجمين المحدثين حيث يقول فالفهم يسبق النقل ولابد لفهم المتن المراد نقله من إجادة اللغة التي ينقل إليها النص إذن يجب أن يكون المترجم حاذقاً للعلم الذي يترجمه، عالماً باللغتين المنقول منها والمنقول إليها.

وحذق الأفكار شرط كذلك في الأعمال الأدبية المنقولة إذ يرى أحد الباحثين المعاصرين أن المترجم الذي يوفق في ترجمة الشعر لابد أن يكون شاعراً في اللغة التي ينقل إليها،ولابد للمترجم من ملاحظة الأشياء الآتية لتكون ترجمته دقيقة وسليمة، وهذه الأشياء هي:

ا) الأسلوب.

ب)طريقة الأداء.

جـ) ذوق اللغة المنقول إليها.

ويجب على المترجم أن يضع نصب عينيه ما قيل من أن إدراك مظاهر الجمال سواء بين الأمم وإنما اختلافهم في الشعور والتأثر النفسي بهذا الجمال.ولهذا اختلفت الثقافات ووجب أن تكون الترجمة ملائمة لثقافة اللغة المنقول إليها.

وقد أكد المترجمون على ضرورة المحافظة على نقل روح النص فقد قال أحد المترجمين والكتاب المشهورين في مجلة المقتطف؛ قال: لن يتسنى للقارئ أن يكوّن فكرة صحيحة عن كاتب ما إلا إذا روعيت الحرفية الدقيقة في ترجمته آثار ذلك الكاتب دون إخلال بروح النص فضلا عن حرفه، وكذلك يؤكد المترجمون ضرورة تطويع اللغة المنقول إليها. وقد استعمل أحمد حسن الزيات هذه العبارة في مقام الكلام على الفرق بين التأليف والترجمة من حيث المشقة والتعب فالمؤلف ينقل مباشرة من ذات نفسه أما المترجم فينقل من لغة تخالف لغته كل الاختلاف من نواح كثيرة، فجهد المترجم تطويع اللغة العصية لقبول المعاني الأجنبية قبولا لا يظهر فيه شذوذ ولا نشوز، وهذا التطويع وهذه المراعاة للأسلوب اللغوي لا يأتيان إلا من تمكن المترجم في لغته التي ينقل إليها، فإذا كان متمكنا من ناصيتها سهلت عليه عملية التطويع للعصي من المعاني الأجنبية، وقد أشار المترجمون المحدثون إلى أنه لا بد قبل النقل من إجادة اللغة التي ينقل إليها النص فإذا قصدت اللغة بالناقل عز عليه أن يترجم ترجمة صحيحة يعول عليها وجاء كلامه مهلهلاً لا يضبط معنى ولا يؤدي رسالة محدودة الأهداف، ومن شروط الترجمة الصحيحة للألفاظ أن يستغني قدر الإمكان عن ترجمة اللفظة الأجنبية بجملة قد تقصر أحيانا وقد تطول بعض الحين،والإيجاز البليغ شرط في صحة الترجمة وجودتها.

و- ماذا نترجم؟:

قد أجاب المترجمون المحدثون على هذا السؤال بقولهم إن الاهتمام الأول في الترجمة ينبغي أن ينصرف إلى الكتب التي تعد مراجع ومصادر قبل الكتب التي تعد ترفا فكريا فلا نزال نشكو صعوبات كثيرة عند ترجمة الكتب العلمية بسبب افتقار اللغة إلى المصطلحات المتفق عليها التي تنقل إلى القارئ العربي المعاني العلمية المصطلح على

أسمائها باللغات اللاتينية، وكل كاتب يتصدى للترجمة يسعى إلى وضع تعبيرات وألفاظ تروق له وقد لا تروق لغيره بل لعلها تجانب الصواب وتدل على سوء فهم،ولسن ينقذنا من هذا إلا ترجمة كتب المراجع أي أمهات الكتب في أبواب المعرفة جميعا. ففي الفلسفة يترجم لسقراط وأفلاطون وأرسطو وديكارت وهيجل ووليم جيمس ودارون وآخرين ، وفي علم النفس يترجم لفرويد وأولر وبقية المتأخرين،وفي التاريخ يترجم لونستن تشرتشل وهكذا. فترجمة هؤلاء العلماء الأعلام تمكننا من أن نستقر استقراراً واضحاً على أسس الأدب والعلوم والفنون،ومتى عرفنا الأسس والأصول فقد يهون علينا أن ننتقل إلى الفروع والنتائج.

4- المصطلح العلمي بين النقل والتعريب:

النقل هو أن ننقل المصطلحات العلمية أيا كانت اللغة المكتوبة بها بحروف عربية تؤدي أصوات حروف اللغة المنقول عنها.

أما التعريب فهو نقل المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية مغيرة في الحروف والأوزان إلى حروف العرب وحدها وإلى أوزان كلمهم أو ما يقاربها وأنها لا تنقل أبدا كما ينطقها أهلها (14).

فالتعريب قد يبعدنا عن نطق المصطلح نطقا صحيحا حيث إن حروف اللغة العربية وطريقة اشتقاقاتها تبعد المصطلح العلمي عن لغته، فعند الرجوع إليه بلغته قد يجد الباحث فرقا شاسعا بين المصطلح الأصلي والمصطلح المعرب، ولهذا فإن النقل قد يكون أفضل من التعريب مع إجراء بعض التعديلات في أصوات المصطلح المراد إدخاله إلى اللغة العربية، فإذا توسعنا في دراستنا لأصوات حروف الأبجديات الأخرى قديمة وحديثة وحاولنا إضافة أصوات جديدة على هذه الدراسة بقصد إنشاء أبجدية عربية خاصة بنقل المصطلح العلمي إلى العربية استطعنا النقل بيسر وسهولة على أن يكون القيام بهذا العمل الكبير جماعياً.

5- مقترح حول نقل المصطلح العلمي:

أرى أن تتبنى هيئة عامة في أي قطر عربي،ولتكن على سبيل المثال أمانة الثقافة أو مؤسسة معنية بالدراسات اللغوية العربية، الاهتمام بنقل المصطلحات الأجنبية فتدعو عن طريق وسائل الإعلام العلماء العرب المتخصصين في سائر لغات الأمم المتقدمة القديمة والحديثة الشرقية والغربية ليوفوا هذه الهيئة المقترحة بأبحاث في أصوات حروف الأبجدية التي تخصص فيها كل منهم مثل الأبجدية العربية والعبرية والفارسية واليونانية القديمة واللاتينية والأردية والسريانية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية وغيرها، على أن يسهم علماء الأصوات العربية بعامة بأبحاث يضمنونها أسلوبهم وتجاربهم الصوتية في تأدية أصوات حروف اللغات التي ينقلون عنها.وعندما تتجمع هذه الأبحاث تحاول الهيئة المقترحة دعوة من استجاب إلى طلبها حيث تناقش الدراسات المختلفة وتنسق أصوات الأبجديات المختلفة وتحدد الأصوات التي تقصر الأبجدية العربية عن أدائها والاتفاق على رموز صوتية جديدة تمكن الأبجدية العربية من النقل الدقيق السليم، ومن الممكن تسمية هذه الرموز " الرموز الصوتية العربية لنقل المصطلح العلمي" ثم تنشر هذه الرموز الصوتية،في كافة أنحاء الوطن العربي،في كتب تكون في متناول الباحث والمترجم على غرار أصوات

الأبجدية العالمية.

وهذه الأبجدية الصوتية سيكون لها كيانها الخاص المستقل بوصفها مرشدا للباحث أو المترجم العربي ولن يترتب على ذلك أي مساس بأبجديتنا العربية التي يجب أن تبقى على حالها الذي ورثناه وعرفناه كتراث قوي غير خاضع للتغيير والتبديل، فهذه الأبجدية الصوتية ذات هدف خاص هو نقل المصطلح العلمي نقلا سليما بحيث يستطيع الباحث أن ينطقه في المحافل الدولية والمؤتمرات نطقا صحيحا ويكتبه كتابة صحيحة لتكون بحوثه مفهومة من قبل العلماء والمتخصصين في مجاله في جميع أنحاء العالم (15).

6- وسائل استنباط المصطلح العلمي:

بعد أن درسنا المصطلح العلمي من حيث النقل والتعريب واطلعنا على ماهية كل من الترجمة والتعريب ومجاليهما يمكننا الآن تصور أسلوب وطريقة نستطيع بواسطتها استنباط المصطلح العلمي الذي يمكن أن يذاع وينتشر، وهي كما يلي:

1) عند اختيار المصطلح العلمي علينا البحث عنه أولاً في معاجم المعاني وذلك باختيار الموضوع المناسب للمعنى الذي في ذهن المُعَرّب ثم اختيار أنسب الألفاظ التي وردت في ذلك الموضوع.

2)أن تقوم الهيئات اللغوية المختصة بدراسة صوتية لاستنباط أبجدية خاصة بتعريب المصطلحات العلمية ولو بإضافة أصوات غير موجودة في العربية من لغات أخرى مثل الفارسية خاصة بالمصطلح العلمي.

3)أن يكون المُعَرّب متعمقا في اللغة العربية وفي اللغة الناقل منها.

4) أن تساهم هيئة قومية في تعريب المصطلح العلمي يشترك فيها كل قطر عربي له رغبة في تعزيز اللغة العربية وتقوية الدراسات العلمية في قطره.

هوامش

1) انظر **مقدمة: صحاح الجوهري**، حول تاريخ الحركة المعجمية.

2) Introduction to theoretical linguistics ,John Lyons , Cambridge University press.p.8-10.

3) **مقدمة الصحاح**.

4) **المخصص**، أبو الحسين علي بن إسماعيل بن سيده، دار الفكر- ج1 ص15.

5) انظر مجلة **العربي**، تعريب العلم في البلاد العربية، ع.141، أغسطس،1970،ص34.

6) المصدر السابق. نفس البحث.

7) **فن الترجمة في الأدب العربي**، محمد عبد الغني حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة،ص19.

8) المصدر السابق، ص11-12.

9) المصدر السابق، ص13.

10) مجلة **المقتطف**، أصول الترجمة والتعريب، أنيس المقدسي، عدد مارس 1929 ، ص 271.

11) **تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، مادة الترجمة.

12) مجلة **المقتطف**، عدد مارس 1929.

13) مجلة **المقتطف**، عدد مارس 1929.

14) مجلة **العربي** ، التعريب هل يؤدي حقاً إلى تدني المستوى العالي، ع 284 ، يوليو 1982 ،ص50.

15) مجلة **العربي**، أسماء الأعلام والمصطلحات العلمية والأجنبية بين النقل الملتزم والتعريب،عدد 238 ،سبتمبر 1978،ص58.